قصة قصيرة

# أوراق على الرصيف

بقلم: محمد إسماعيلي

كان يفكر دائماً كيف سيواجه الموقف. كيف سيكشف عن أفكاره ويظهرها للجميع.. لزملائه في العمل.. لأصدقائه في الشارع.. للمشاهدين على الشاشة.. لكل الناس.. لهؤلاء الذين اعتادوا الجلوس في هذا الركن الدافئ بأشعة الشمس الذهبية قرب دكان الحاج علي، يرمون المارة بنظرات ناقدة أحياناً وساخرة أخرى، فتتعالى ضحكاتهم لتتبدد في الهواء مع دخان السيارات.. لأولئك الشبان الذين تجمعهم أوراق اللعب من أجل الظفر بعلبة سجائر.. إلى ذاك الذي اعتاد النوم تحت شجرة الزيتون.. إلى كل الناس..

أنهى مقالته الطويلة، تأبط ملفاً أحمر.. قصد المطبعة القديمة، هناك التقى مع أحد المسؤولين بالنشر فأدى التحية..

ها هوذا يخرج مودعاً خاوي الوفاض.. ولم يعد يذكر إلا آخر ما تلفظ به صاحب المطبعة: "مواقفك صعبة وتصب في صميم السياسة والحكومة، وهذا خطر عليك وعلينا" خرج لا يدري أي اتجاه يقصد.. فسار على الرصيف بخطى وئيدة مشتت الأفكار، لا يعرف ماذا يقدم ولا ماذا يؤخر. فكر أخيراً أن يقصد المقهى الموجود في وسط المدينة، هناك يلتقي بأصدقاء كثيرين ويطلعهم على أفكاره. بل إنها فرصة جيدة وسانحة، فالمقهى كبير ويحل به عدد كبير أيضاً من الزبائن، وهذه فرصة تمكن من كشف أفكاره لهؤلاء.

أسرع الخطى قليلاً حتى وصل إلى المقهى، حيث وجد ثلاثة من أصدقائه وعدداً لا بأس به من الناس.. جلس على كرسي خشبي قرب أصدقائه وانطلق يحكي لهم عما كتبه من مقالات وموضوعات وهم يستمعون إليه ويرمونه بنظرات ساخرة. أحس بكل تصرفاتهم لكنه لم يصمت، وظل على حاله يحكي ويقرأ مقالاته.

لم يكن صوته مسموعاً أول الأمر إلا لأصدقائه لكنه أصبح مسموعاً لكل الجالسين بالمقهى، حتى صاحب المقهى الذي كان يقبع وراء المشرب يهيئ كؤوس القهوة للزبائن كان يسمعه.

حاول أن يرتشف جرعة ماء قبل أن يواصل فلم يجد أحداً من أصدقائه ولم يشعر كيف قاموا من أماكنهم. ألقى نظرة خاطفة حوله فوجد المقهى خالياً من الناس إلا ثلاثة عمال يرمونه بنظرات ساخطة متوجهين نحوه.

.. أوجس في نفسه خيفة .

حاول أن يستجمع قواه لكنه لم يقدر على الحراك.. وأخيراً استطاع أن يمد يده إلى ملفه الملقى بجانبه على قارعة الطريق.. أحس بأوجاع.. مد يده إلى رأسه فعادت حمراء.

التف حوله أطفال صغار يضحكون، ثم جاءه رجال ساعدوه على الوقوف وناولوه ملفه الأحمر. سأله أحدهم عن سبب وجوده في هذه الحانة فلم يسمع منه إلا أنيناً.. وأخذ يمشي ويحدث نفسه بصوت خافت.. بصوت مسموع لكل المارة.. فمنهم من يضحك ومنهم من يقول لا حول ولا قوة إلا بالله! والصغار من ورائه يهتفون: "السيد أحمد فقد عقله"

وظل يسير ويسير، على الرصيف تارة، ثم على الطريق تارة أخرى، فيوقف حركة السير غير مبال بمنبهات السيارات الكثيرة مما يسبب أصواتاً مزعجة..

وظل يسير على نفس الحال، ثم يرمي بأوراقه على الرصيف، وهو يقرأ ويلوح بيده فيرسم وراءه خطاً أبيض حاداً.

لم يعد الناس يرونه أو يسمعون كلامه بعدما وقفت بجانبه سيارة بيضاء نزل منها رجلان ضخمان بيديهما عصوان، وأدخلاه السيارة مخلفاً وراءه خطاً وأوراقاً على الرصيف.